مجلة الشهاب • المجلد: 09، العدد: 01 (2023م) • ص ص 127 - 142
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

المدلولات القرآنية لقيمة الولاء في سورة العنكبوت

Quranic connotations of the value of loyalty in Surat Al-Ankabut

ط.د/ منى بن عطية *
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة (الجزائر)
mhamedfatih11@gmail.com

أ.د/ الجمعي شبايكي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة (الجزائر)
djemai111@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/01/11 | تاريخ الاستلام: 2023/01/11 | تاريخ النشر: 2023/03/16

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

تتأكّد أهميّة القيم في حياة الأمة الإسلامية اليوم من خلال المرجعيّة التي تستمدّ منها منظومة القيم الكاملة وهي القرآن الكريم وسنّة نبيّه عليه أفضل الصّلاة والتّسليم، ولا يخفى على أحد تراجع فاعليّة القيم في الواقع المعاصر في شتى المجالات، ممّا أحدث فراغا كبيرا بين الدين والناس ملأته قيم إيديولوجيات غريبة عن الشّريعة الإسلاميّة، من هذا المنطلق جاء هذا البحث إلى تبيان قيمة الولاء في سورة العنكبوت لأجل الوصول إلى الطريقة التي عولجت بها القيمة المدروسة. وقد خلص إلى أهميّة قيمة الولاء كمعيار يحكم السّلوك الإنساني ويوجّهه.

الكلمات المفتاحية:

القيم؛ سورة العنكبوت؛ الولاء؛ المدلولات القرآنية.

Abstract:

The importance of values in the life of the Islamic Nation today is confirmed by the reference from which the entire system of values is derived, namely the Holy Qur'an and the Sunnah of His Prophet, peace and blessings be upon him, and it is no secret to anyone that the effectiveness of the values in contemporary reality is hidden in various fields, creating a great void between religion and people filled with value of ideologies that are alien to the Islamic law, so this article come to study the value of loyalty in the light of Surat Al-Ankabut from the purpose of reaching the way in which value was handled, and its importance becomes evident as a criterion rules and builds human behavior.

Keywords:

The Values, Surat Al-Ankabut, Loyalty, Quranic connotations.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

يتّفق الجميع على دور القيم في توجيه السلوك الفردي والجماعي وتفعيل نشاطه، وقد اكتسى الحديث عن القيم اليوم أهميّة خاصّة في ظل التحدّيات التكنولوجية المتسارعة والانفتاح اللامحدود على ثقافات المجتمعات المختلفة، ضمن المفهوم الحديث للعالم بأنّه مجرّد قرية صغيرة، وتتأكّد أهميّتها في حياة أمّة لها مرجعيّة تستمدّ منها منظومة كاملة من القيم وهي أمّة المسلمين التي تستمدّها من القرآن الكريم وسنّة نبيّه عليه أفضل الصّلاة والتّسليم، كما بإمكانها من تلك القيم تنمية أخرى فعّالة حسب درجة رقيّها وتمدّنها، ولا يخفى على أحد أيضا تراجع فاعليّة القيم القرآنية في واقعنا واستبدالها بأخرى ذات مردود سلبيّ، وهذا لتراجع تأثير الخطاب القرآني في المسلمين ممّا أحدث فراغا ملأته قيم إيديولوجيات غريبة عن الشّريعة الإسلاميّة مناقضة لدين الله الذي ارتضاه لعباده، كالحبّ من أجل السلطة أو المال أو غيرها من المصالح الدنيوية الخالصة بدل أن يكون حبّا في الله ولله، وحبّا لدينه ونصرته، والولاء كثيرا ما يرتبط بالفتن في سبيل تحقيقه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة:21).

1.1. إشكالية البحث:

انطلاقا من أهمية القيم في حياة الأفراد والجماعات، ومن خلال دعاوى حوار الثقافات والحضارات والأديان التي تدعو إلى إذابة الفواصل والحواجز الثقافية وحتى الدينية بين المجتمعات، تتأسّس لدينا أهميّة بالغة للبحث عن قيمة الولاء عند المسلم لله، ولدينه، ولأخيه المسلم، ولمجتمعه، ولوطنه. فما هي المدلولات القرآنية لقيمة الولاء في سورة العنكبوت؟

وتساعد في الإجابة عن هذا التساؤل الرّئيس الأسئلة الآتية:

- كيف تتشكّل القيمة عند الفرد؟
- كيف تناولت السورة قيمة الولاء من خلال القصص الواردة فيها؟
- وما هي عوامل الثبات على قيمة الولاء التي جاءت في السورة؟

1.2. فرضيات البحث:

- القرآن الكريم هو مرجعية القيم للمسلمين.
- تتبدّى القيمة وتظهر من خلال السلوك العملي القولي أو الفعلي أو الوجداني.

1.3. هدف البحث:

يهدف البحث الوصول إلى الطريقة التي عولجت بها قيمة الولاء في سورة العنكبوت لأجل توضيح أهميّتها كمعيار يحكم السّلوك الإسلامي.

1.4. منهج المعالجة:

سلك البحث المنهج التحليلي الذي استخدم في تحليل النصوص القرآنية وما يتعلق بالواقع المعيش. إضافة إلى المنهج الاستنباطي لاستنباط الدلالات من الأمثلة التي في السورة.

1.4. خطة البحث:

1. مقدمة
2. مفهوم القيمة وأهمية دراستها
3. معالجة سورة العنكبوت لقيمة الولاء
4. المدلولات القرآنية لقيمة الولاء في قصص سورة العنكبوت
5. المدلولات القرآنية لقيمة الولاء في مثل العنكبوت
6. عوامل الثّبات على قيمة الولاء
7. خاتمة
8. قائمة المراجع.

2. مفهوم القيمة وأهمية دراستها

1.2. مفهوم القيمة:

1.1.2- لغة: "القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم. والآخر على انتصاب أو عزم"[1]. و"القيمة واحدة القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، والدين القيم أي المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق. وقوله تعالى: ﴿ فيها كتب قيّمة﴾ الآية (البيّنة:3)؛ أي مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان"[2]. و"أقام الشيء: أدامه، وما لفلان قيمة: ثبات ودوام على الأمر"[3].

"وإذا تأمّلنا في الدّلالات المختلفة لمجمل الألفاظ القرآنيّة ذات العلاقة بجذر القيم، فإنّنا سنجدها تتركّز في أربعة مجالات من الدّلالة، تتضافر وتتعاون في إعطاء الدّلالة الكليّة للقيمة والقيم في المصطلح القرآنيّ، وهذه المجالات الأربعة هي:

أ- الوزن والفائدة والثّمن: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: 105).

ب- الثبات والاستقرار: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (الدخان: 51).

1- أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،ج5،ص43.
2- محمد ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص357.
3- أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، ص111.

ت- المسؤوليّة والرّعاية: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ... ﴾ (النساء:34).

ث- الاستقامة والصّلاح: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ (الجن:16) "[1].

2.2.2- اصطلاحا:

هي"معايير عقليّة ووجدانيّة، تستند إلى مرجعيّة حضاريّة تمكّن صاحبها من الاختيار بإرادة حرّة واعية وبصورة متكرّرة نشاطا إنسانيّا- يتّسق فيه الفكر والقول والفعل- يرجّحه على ما عداه من أنشطة بديلة متاحة فيستغرق فيه، ويسعد به، ويحتمل فيه ومن أجله أكثر ممّا يحتمل في غيره دون انتظار لمنفعة ذاتيّة"[2].

2.2. أهميّة دراسة القيم:

تتشكّل القيم باعتبار الظّروف الملابسة لموضوعها، لذا هي صعبة التحديد لأنّها ليست في الماهية الحسّية أو المعنويّة للقيم في حدّ ذاتها وإنما تعلّقها القويّ بنظرة وتقييم الإنسان لها، وبما أنّه طرف في هذه العلاقة فيراعى حضوره بكلّ أحواله النفسية، الاجتماعية، التربوية... والمرتبطة بزمن معيّن، فالقيمة تأخذ مكانتها وأهميّتها من الوعي بضرورتها وأهميّتها بالنّسبة للإنسان.

و"من خلال دراسة القيم يمكن تحديد الأيديولوجيّة أو الفلسفة العامّة السّائدة، فالقيم ما هي إلاّ انعكاس للأسلوب الذي يفكّر الأشخاص به في ثقافة معيّنة وفي فترة زمنيّة معيّنة، كما أنها هي التي توجّه سلوك الأفراد وأحكامهم واتّجاهاتهم فيما يتّصل بما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه من أشكال السّلوك في ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير"[3]. إن القرآن الكريم هو المرجع الأول في القيم بالنسبة للمسلمين، ويقدّم منظومة كاملة تمكّن من النّهوض بالواقع في كلّ زمان ومكان مهما بدت حالهم ضعيفة أمام التيارات الفكرية والقيم الوافدة من الغرب. لقد أجاد غيرنا الحرب على قيمنا حربا شاركت مختلف العلوم فيها؛ الاجتماعية، التربوية، النفسية، الاقتصادية، السياسية... إلخ، وكلّ منها يعالج جانبا من القيمة سواء كان مادّيا، رمزيا، عاطفيا... لذا يعدّ الاعتناء بالإنسان وتربيته على سلوكات مخصوصة وطبعه بإيديولوجيات بعينها هي مساهمة في إنشاء وعيه وتطبيعه بما يريد المربّي، إذن من الممكن جعل شيء ذا قيمة عالية وبالغ الأهميّة ليس ذا قيمة أو العكس؛ أي جعل شيء عديم القيمة ذا قيمة.

3.2. ترسيخ القيم القرآنيّة في قلب المسلم:

إنّ القيم تمرّ بمراحل كي يعقلها قلب الإنسان، فأوّلا عليه أن يعيها ثمّ يحدّد أهمّيتها بالنّسبة إليه، ثمّ بالنّسبة إلى مجتمعه، ثمّ بالنّسبة إلى أمّته، كذلك عليه أن يصنّفها في منظومة القيم الأخرى

1- انظر فتحي حسن ملكاوي، التّأصيل الإسلاميّ لمفهوم القيم، العدد54، ص8.
2- أحمد عبد الحليم، تعليم القيم فريضة غائبة، عدد 66/65.
3- انظر سفيان بوعطيط، القيم الشخصية في ظل التغيّر الاجتماعي وعلاقتها بالتّوافق المهني، ص20.

ويبحث عمّا تحقّقه في هذه المنظومة. بعد ذلك يعود للتّاريخ لدراسة فاعليّة هذه القيمة عند حضورها وتحقّقها في الواقع، وعند غياب تفعيلها في الواقع، ثمّ تأتي المرحلة التي ترفع تلك القيمة إلى درجة المقدّس وغير القابل للمساومة على طريقة التدرّج في الإيمان.

فللقيمة حضور داخلي وهو الوهم أو الظنّ أو ما يرتقي إلى درجة الاعتقاد، وحضور خارجيّ متحقّق. وقيمة اعتقاد أن الشّيء حقيقي تجعلنا نتصرّف على أساس أنّه حقيقيّ، فاعتبار المجنون مثلا أنّ شخصا ما موجود بجانبه يجعله يتصرّف كما لو أنه موجود بجانبه لأن ذاك ما يعتقده حقّا فهو بالنّسبة لنا يتوهّم ولكنّه يعيش حقيقة مع نفسه، وهذه نفس الفكرة بالنّسبة لما يشكّل عالمنا الخارجيّ.

ومع أنّ المسلم تجب عليه طاعة خالقه ومولاه تعالى في كلّ ما أمر وما نهى حتّى إن لم تتبيّن له الحكمة من ذلك أو حتّى إن بان له أنّ في تلك الطّاعة مشقّة يتكبّدها أو ضرر يلحق به، إلاّ أنّ الغريب أن يسلّم الكثير من المسلمين في عصرنا هذا بقيم غريبة عنّا، تصل حتّى إلى درجةِ مناقَضة قيم القرآن الكريم كتاب الله عزّ وجلّ لأنّها وجدت طريقا معبّدة تنحّت منها قيم شريعة الإسلام في خطوات يتبع بعضها بعضا كإزالة قيمة وحدة الأمّة عن طريق تفريق شعوبها ودولها. فهنا تمّ تغييب قيمة ذات ثقل مهمّ في المنظومة القيمية القرآنية.

لذا يجب دائما العودة لدراسة طريقة غرس القرآن الكريم قيمه في المسلمين بمنهج قويم لا عوج فيه ممّا لا يترك أي مجال للشكّ في تلك القيم كما جاءت أو التّراجع عنها.

3. معالجة سورة العنكبوت لقيمة الولاء

1.3. قيمة الولاء في سورة العنكبوت:

عرضت السّورة في أوّل محور لها حال المسلمين في مكّة والعذاب الذي يلاقونه في سبيل إيمانهم، وفي الثاني عرضت حال الأمم السابقة ونصرة الطّائفة المؤمنة من كل أمّة، مع تقديم مختلف الفتن التي تغيّر ترتيب قيم ما أو تزيحها كليّة أو تستبدلها بقيم أخرى، فالمولى تبارك وتعالى يعلّمنا معنى أن يتّخذ وليّ أو أولياء من دونه سواء أكان ذلك توليّا مباشرا أم خفيّا لا يدرك حقيقته إلا صاحبه. وقد توسّط مثل العنكبوت السّورة، هذا المثل الذي يربّي فينا خشية الله وحبّه وحده لأنّه مهما كان ما يُتولّى من دون الله يظهر لنا قويّا، وهو بمقياس البشر حقيقة قويّ سواء أكان لمال أو سلطان أو هوى وشهوة غالبة، فهو عند الله ضعيف ولأنّ الله هو المدبّر والمسيّر للكون ومجريه على السنن التي اختارها وقدّرها، وهو نفسه لا إلـٰه غيره مجري الكون متى شاء على غير تلك السّنن، إذن الله عزّ ذكره يشرب قلوبنا ويصبغها بالتعلّق به وحده ورجاء نصرته ومدده وحده تعالى، فتفرّعت عن قيمة الولاء في هذا المثل أعمال قلبيّة جليلة: التوكّل على الله، خشية الله، حبّ الله، رجاء الله، التفويض لله، وحبّ الله والحبّ فيه: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ

أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة:22). والقصص التي سبقت مثل العنكبوت يمكن اعتبارها هي المشكّلة لأبعاد ومحدّدات قيمة الولاء.

" إنّها تقدّم كنماذج بالتعبير الحديث، وبهذا الإطار فالقصّة القرآنية تتّصف بأسلوب غير معقّد يركّز على العوامل الحاسمة التي تؤدّي إلى إحداث مشكلة في مجتمع إنساني ما، وهي تستخدم كمعايير لمعالجة قضايا اجتماعية مشابهة لقضايا سابقة تنشأ باستمرار؛ الأمر الذي يبرز أهميّتها بالنّسبة لعالم المعرفة الإنسانية، إنها تقدم صورة مختصرة عن كيفية نشوء المجتمعات الإنسانية ودورات الرقي والانحطاط فيها، هذا إلى جانب تطرّقها للقوى المحرّكة لتلك المجتمعات من ثراء وفقر، واتباع أو مخالفة للقانون وهلم جرا، ومن هذه الزّوايا كلّها يبرز الطابع الأزلي لتلك القصص التي يصلح تطبيقها لكلّ زمان ومكان"[1].

2.3. مفهوم الولاء:

1.2.3. معنى الولي في اللغة:

"الموالاة أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه. ووالى فلان فلاناً: إذا أحبه"[2]. و"الولي اسم يقع على جماعة كثيرة فهو: الرَّبُّ والمالِك والسَّيِّدُ والمُنْعِم والمُعْتِقُ والنَّاصِر والمُحِبُّ والتَّابع والجارُ وابن العَم والحَلِيفُ والعَقِيدُ والصِّهْرُ والعَبْدُ والمُعْتَقُ والمُنْعَمُ عليه"[3].و"الوَلْي: القُرب والدنو، والموالاة: المتابعة، والتولي: يكون بمعنى الإعراض، ويكون بمعنى الاتباع"[4].

2.2.3. الولاء في الاصطلاح:

الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً، قال تعالى:﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ الآية (البقرة: 257)، فموالاة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا[5].

1- انظر زاهية الدجاني، أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة، ص7.
2- انظر ابن منظور، لسان العرب، ج 15، ص390.
3- المرجع السابق، ج15، ص391.
4- المرجع السابق، ج 15، ص392.
5- محمد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، ص92.

4. المدلولات القرآنية لقيمة الولاء في قصص سورة العنكبوت

1.4. في قصّة نوح - عليه السّلام-:

بتحديد القرآن لمدة لبث نوح في قومه تتبدّى أعظم عبرة وعظة في قصته، وهي أنّ الله تبارك وتعالى قد يقدِّر لعظيم حكمته على أهل الخير أن تطول مصابرتهم ومجاهدتهم لأهل الشر، فلا ينبغي أن يضعف عامل الزّمن عزيمتهم أو أن يغيّر من مواقفهم وقيمهم.

"وفي قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ﴾ (العنكبوت:15) الآية، إشارة إلى أن النَّجاة يصنعها الإنسان بيديه ثمَّ يتوكَّل على الله؛ فالأمَّة مطلوب منها أن تصنع سفينة نجاتها بيدها وأيدي أبنائها"[1].

فكانت نتيجة الثّبات على قيمة الولاء: إنجاء المؤمنين وإهلاك الظّالمين، ودخولهم في الرّصيد التاريخي الإيجابي بجعلهم آية للعالمين: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ **(العنكبوت:15)**.

2.4. في قصّة إبراهيم الخليل- عليه السّلام-:

"تعلّمنا أن على المسلم أن يجتهد ألاّ يتأثّر بالبيئة الفاسدة ويسعى أن يؤثِّر فيها، وهكذا كان إبراهيم – عليه السلام - وهذا المظهر لشخصيته تلمحه في جداله مع قومه ومصارحته لهم ببطلان ما هم عليه من عبادة غير الله؛ مع كونه وحيدا فريدا حيث لم يؤمن له إلا لوط ابن أخيه، وزوجته سارة"[2]. وهذا لا يبرّر ترك نصرة دين الله وعباده أو موافقة المخالفين على دينهم ومذاهبهم، فقد لاقى إبراهيم- عليه السلام- من فتن التمسّك بقيمة الولاء التهديد بالقتل أو الحرق: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ الآية (العنكبوت:24).

نتيجة الثّبات على قيمة الولاء كانت: ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الآية (العنكبوت:24)،مع الدُّخول في الرّصيد التاريخي الإيجابي، وعلى قدر ما لاقاه في سبيل إيمانه كان مقامه: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت:27).

وكان الكفر بالله والولاء لغيره مصيره الخسار والهلاك: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (العنكبوت:25).

1- محمد رشدي الزين، مدرسة الأنبياء - عبر وأضواء-، ص34.
2- انظر عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدّعاة، ج 1، ص207.

3.4. في قصّة لوط – عليه السّلام-:

"لما كان السِّياق للابتلاء؛ خص بالبسط في القص من لم يكن له ناصر من قومه، أو كان غريباً منهم، ولذلك أتبع الخليل - عليه الصلاة والسلام - ابن أخيه الذي أرسله الله إلى أهل سدوم؛ ناس لا قرابة له فيهم ولا عشيرة"[1].

إنّ الولاء في هذه القصّة بقي لله ولدينه فعيش لوط- عليه السلام- مع غير أهله لم يعفه بعد ما لاقى منهم من إنكار معاصيهم عليهم. مهما اغترب المسلم ولم يجد له النّصير من البشر فلا يعني ذلك أن يرضى عن المنكرات التي يعيش في وسطها وله أن ينكر على الكافر غير الكفر إن وجد السّبيل إلى ذلك، والعيش في الغربة يقتضي أن يزيد من قيمة الولاء عند المسلم، فيكون حبّ المرء لخالقه وشريعته قبل ولائه لقانون البلد الذي يهاجر إليه.

والله تعالى أهلك امرأة لوط – عليه السلام- مع قومها على الرّغم من أنها لم تكن تعمل عملهم حيث كان مختصا بالرِّجال منهم، وسبب أخذها بالعقاب هو موالاتها لقومها فقد كانت تظهر الإسلام وتبطن الكفر، قال الزمخشري: و"كانت كافرة موالية لأهل سدوم"[2].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت:35)، فدخلت بذلك في الرصيد التاريخي الإيجابي لقوم يؤمنون بالقرآن وينتفعون به فيعدّون لليوم الآخر العدّة: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت:64).

والملاحظ على كلمة "قوم" أنها مساوية لجذر القيمة الذي هو "قوم"، وكأنّ القوم وهم الجماعة من النّاس إنّما صاروا كذلك لقيم مشتركة بينهم أو لقيم تجمعهم فامتازوا بها عن غيرهم، وكان تجمّعهم أهمّ عامل للقيام والثّبات على قيمهم الخاصّة بهم، فكون الفرد وحيدا في قيمه لا يهيئ له ما تهيئ المجموعة لأفرادها من التّعاون والقوّة، سواء أكانت تلك القيم ذات مردود سلبي أو إيجابي، ومن هذا المعنى تزيد قيمة الولاء التي من مقتضياتها النّصرة، وحتّى إن افترضنا العكس أي حالة فرديّة للشّخص في الثبات على قيمة ما فالواجب أن تزيد قيمتها لأنّه أوّلا مسلم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:162)، وثانيا لأنّ المولى تعالى هيّأ له منظومة كاملة من القيم يشدّ بعضها بعضا وتتكامل فيها قواه العقلية، النفسية، والروحية فتنتج إنسانا متّزنا سويّا.

4.4. في قصّة شعيب – عليه السّلام-:

"في قصة شعيب – عليه السلام – في سورة العنكبوت على قصرها نرى مجيء حرف الفاء للتعقيب في بداية كل مرحلة عاشها نبي الله والمؤمنون به مع المكذبين له وكأنها تصوِّر لنا فترة ليست

1- برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 5، ص554.
2- الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص470.

بالطويلة؛ دعوة إلى عبادة الله؛ فتكذيب؛ فعقاب؛ فنهاية أليمة، إن طال الزّمن أو قصُر فنهاية الكافرين واحدة، وعلى المستضعفين والمسلمين في كافة أنحاء المعمورة ألا يقنطوا ويأسوا من نصر الله، فسنة القدير التمكينُ للفئة المستضعفة بعد ابتلائها- إن هي صبرت وجاهدت- من بعد إهلاك الظلمة لينظر كيف يعملون"[1]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: 13- 14).

5.4. أبعاد قيمة الولاء في قصص عاد، ثمود، قارون، فرعون وهامان:

جاءت الإشارة إليهم سريعة: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ.. ﴾ (العنكبوت: 38-40).

وقد ذكر الله عن عاد وثمود أنهم كانوا مستبصرين. حكى القرآن عن قوم هود: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (الأعراف:69)الآية- ، وعن قوم صالح: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ (الأعراف:74) الآية، أي على الرّغم من علمهم بعاقبة من سبقوهم مع ما جاءهم نبيّا الله من البيّنات إضافة إلى اغترارهم بقوّتهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ (فصّلت:15)الآية، وافتتانهم بأنعم الله: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾ (الشعراء: 146- 149)، إلاّ أن ذلك هيّأ قلوبهم المريضة لتزيين الشيطان لأعمالهم. فلا يغرّنكم يا عبادي ما عليه الكافرون والظّالمون من قوّة ونعمة وأمن ولا تتولّوهم لذلك لأنّهم بجحودهم وشركهم بي فقد تولّوا الشيطان: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: 63- 64)، ولم يشذّ عن ذلك قارون وفرعون وهامان مع ما لهم من المال والقوّة والسّلطة لأنّ جزاءهم أن يؤخذ كلّ منهم بذنبه.

الظّاهر أن هذا التناول السّريع لقصصهم بعد شيء من التّفصيل في التي سبقتها من حكمه إبقاء ذهن القارئ أو المستمع حاضرا وقلبه متيقّظا فلم يكن ليسمع أنّ أيا منهم استطاع أن ينجو من عذاب الله في الدّنيا، ثمّ ماذا؟ ثمّ تأتي الآية التي تتوّج كلّ القصص السّابقة من بداية السّورة؛ سورة العنكبوت وهي: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: 41).

1- منى بن عطية، الابتلاء من خلال سورة العنكبوت، ص90.

5. المدلولات القرآنية لقيمة الولاء في مثل العنكبوت

قال سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (العنكبوت: 41- 42)، "أتت هـٰتان الآيتان بعد أن قصّ سبحانه ما كان بين رسله- صلوات الله وسلامه عليهم- وبين أقوامهم من دعوتهم إلى عبادته تعالى وحده لا شريك له، ثمّ تكذيب من كذّب منهم وأذيّة أنبياء الله ومن آمنوا بهم فتحدّي الكافرين لـهم، ثمّ أخذ الله لأولـٰئك الـمستكبرين الجاحدين بالعقاب وإنجاء الـمؤمنين واسـتخلافهم لينظر تعالى كيف يعملون، وقد كان لأولئك المكذبين المعاندين من القوّة والمال والعمران والبناء ما شكّل لهم حضارة ظنوا أنها لن تزول، إذن فـقد ضرب الله المثل لمن اتّخذ وليّا غير الله بالعنكبوت اتـخذت بيتا، وعلى هذا فإنَّ الأولياء الذين يُـتَّخذون دون الله هم الـمُشبّهون ببيت العنكبوت، والذين والوا غير الله شُـبّهوا بالعنكبوت، على أن ما يظهر أن المراد ببيت العنكبوت في هذا المثل كلّ ما اتخذ نصيرا ومعتمدا وكل من كانت العلاقة معه علاقة إظهار للحبّ والتبعيّة؛ ولأن وجه الشَّبه في هذا المثل هو القوّة والاعتماد على غير الله سبحانه، فإن سبب اتخاذ أولـٰئك الأولياء هي قوّتهم"[1].

"وفي الآية استئناف متضمن تقبيح حال أولئك المهلكين الظالمين لأنفسهم وأضرابهم ممن تولى غير الله عز وجل، وفيه إشارة إلى أعظم أنواع ظلمهم، فالمراد بالموصول جميع المشركين الذين عَبدوا من دون الله عز وجل الأوثان. وجوز أن يكون جميع من اتخذ غيره تعالى متكلاً ومعتمداً؛ آلهة كان ذلك أو غيرها، ولذا عدل إلى أولياء من آلهة؛ أي صفتهم أو شبههم {كَمَثَلِ العنكبوت }، أي كصفتها أو شبهها"[2]، "ولعل السرّ في اختيار لفظ الأولياء بدل الآلهة إبطال الشرك الخفيّ؛ وهو العبادة للرياء والسّمعة فإنّ من يفعل ذلك يصدق عليه أنّه اتّخذ من دون الله وليّا"[3].

"ويجوز أن يكون المعنى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء فيما اتخذوه معتمداً ومتكلاً في دينهم وتولوه من دون الله تعالى كمثل العنكبوت فيما نسجته واتخذته بيتاً ، والتشبيه على هذا من المركب فيعتبر في جانب المشبه اتخاذ ومتخذ واتكال عليه"[4].

إن في اختيار الله تعالى للعنكبوت من دون سائر الكائنات الحيّة مَثلا في هذا الموضع إنما لخصائص تُميّزها عن غيرها من الحشرات، كالذّباب، والبعوض، والنّحل، والنّمل، لذلك لا بدّ من تبيّن هذه الخصائص والميزات، وقد وصف تعالى العاقلين للأمثال التي يضربها للنّاس بالعالمين، ولم يأت هذا في موضع من القرآن الكريم إلا في الحديث عن هذا المثل، فالبحث في تشبيه من اتّخذ وليّا دونه سبحانه

1- المصدر نفسه، ص 141.
2- محمد الآلوسي، روح المعاني، ج20، ص160.
3- محمود حجازي، التفسير الواضح، ج2، ص873.
4- الآلوسي، روح المعاني، ج 20، ص 161.

بالعنكبوت اتخذت بيتا؛ سيجلّي قيمة الولاء، قال تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: 28).

"لقد نهى الله سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء، وأصدقاء، وأصحابا من دون المؤمنين ولو كانوا خائفين منهم، وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء، أي لا يكون من أولياء الله تعالى الموعودين بالنجاة في الآخرة ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ وهو أن يكون الإنسان مقهورا معهم لا يقدر على عداوتهم فيُظهر لهم المعاشرة والقلب مُطمئن بالبغضاء والعداوة، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عُذر استحبابا للحياة الدنيا على الآخرة والخوف من المشركين وعدم الخوف من الله، فما جعل الله الخوف منهم عذرا بل قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 175) "[1]، وأيضا "فليس الخوف بعذر كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ الآية (العنكبوت: 10). فلم يعذر تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف، وإنما جاؤوا بالباطل محبة له وخوفا من الدّوائر"[2].

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ الآية (آل عمران: 103)، وقال رسول الله- صلى الله عليه وسلّم:"مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[3]، إن هذا الحديث يدعونا للتأمّل في قيمة التراحم والألفة والمحبة، حيث شبهت هذه القيم بنظام جسم الإنسان الذي يساند كلّ عضو فيه بقيّة الأعضاء بنظام مناعي وصحيّ متكامل متناسق، فمثلا إذا كان نظام المناعة ضعيفا سيتمكّن المرض من صاحبه ويجرّ معه عللا أخرى إذ لم يعُد قادرا على مقاومة الأجسام الغريبة المعادية في المحيط الخارجي والتي ستجد بيئة مناسبة للعيش والتّكاثر. وعلى الرّغم من وضوح النّصوص التي تدعو إلى النصرة والتوادّ بين المسلمين إلا أن غلبة الواقع الذي تطغى عليه قيم العلمانيّة جعلت العقل المسلم يعيش واقعين؛ واقعا يأتي فيه المسلم بأركان الإسلام مجتمعة أو منقوصة، وواقعا يتعلّم فيه دينه ولكن تبقى تلك المعرفة مجرّد مفاهيم وأفكار لم يعها قلبه ولم تتمكّن منه فيعملَ جاهدا على تطبيقها؛ فقد ساهمت مجموعة من الأسباب في تغيّر وتبدّل درجات سلّم القيم لديه.

1.5. بيت العنكبوت:

1.1.5-معنى البيت في اللغة: بيت الرجل داره، وبيته قَصْره، والبيْتُ القَبْر وفي حديث أَبي ذر" كيف

1- انظر محمد بن عبد الوهّاب، الرسالة السابعة في حكم موالاة أهل الشرك من مجموعة التّوحيد النجدية، ص 249.
2- المصدر السابق، ص 265.
3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم عن النعمان بن بشير برقم 2586.

أنتَ يا أبا ذرّ وموتا يُصيبُ النّاسَ حتّى يُقوَّم البيتُ بالوصيفِ؟"[1]،وبَيْتُ الرجلُ امرأَتُه و بيته عياله[2].

2.1.5- ميزاته: إن خيط العنكبوت الذي ينسج منه بيته هو الذي يتيح له اصطياد فرائسه وهذا الخيط يتميّز بمجموعة من الخصائص جعلته من أقوى الموادّ التي يعرفها الإنسان.

"فالعناكب تستخدم خيوطا حريرية تنتجها من أجسادها لتنسج الشباك، ولكن مراحل إنتاج الخيط وسماته العامة غير معروفة على نحو جيّد، والخيط الذي تنتجه العناكب بقطر يقل عن جزء من ألف جزء من المليمتر تبلغ قوّته خمسة أضعاف سلك فولاذي بنفس القطر، وبالإضافة إلى ذلك يمكنه أن يمد أربعة أضعاف طوله. وتتمثّل إحدى الخواص الأخرى اللافتة للنَّظر في هذا الحرير في أنّه خفيف جدّا، ويمكننا أن نبيّن ذلك من خلال مثال؛ إذ يبلغ وزن الخيط الحريري الممدود حول العالم بأكمله 320 غراما فقط"[3].

"وتتمثّل أحد الجوانب العجيبة في خيط العنكبوت في أنه مرِن جدّا، ومن الصّعب أن يجد المرء مادّة قويّة ومرنة في الوقت ذاته، فعلى سبيل المثال تعتبر الأسلاك الفولاذية إحدى أقوى المواد الموجودة، ولكنّها ليست مرنة مثل المطّاط ولذلك فهي تفقد شكلها ببطء، وعلى الرّغم من أن الأسلاك المطاطية لا تفقد شكلها فإنها ليست قوية بما يكفي لرفع الأوزان الثقيلة، أما حرير العنكبوت فمرونته أكثر من المطاط بنحو ثلاثين بالمائة، وعلى هذا الأساس يعد خيط الحرير- من ناحية مقاومته للكسر ومدى مطِّه قبل أن ينكسر- مادّة لا مثيل لها"[4]، كذلك فإنه "يمكن أن تتم إعادة تدوير حرير العنكبوت، كما يمكن استخدامه المرّة تلو الأخرى"[5].

2.5. مثال بيت العنكبوت:

"من خلال ما سبق نرى أنّ قوله تعالى: ﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ ترجع باعتبار التشبيه إلى من اتُخذ وليّا من دون الله، وليا يمتاز بالقوّة والبأس والقدرة على الفتك بالآخرين والغدر بهم، والعلاقة بين من اتخذ وليا من دون الله وبين من والاه قد تكون بين الكفّار أنفسهم كما قال إبراهيم- عليه السلام- : ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (العنكبوت: 25)، وقد تكون بين مسلمين وكفّار ضدّ مسلمين، وفي الحالتين فإنّ الله يؤكّد لعباده أنَّ المتّكل والنصير هو الأوهن والأضعف على الرّغم من أنه قويّ حقيقة؛ فمهما كان بطشه وقوّته فالذي سخّر له ذلك هو المتصرّف فيما أعطاه وهو الذي يقدّر الأمور كيفما شاء، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا

1- أخرجه ابن ماجة في سننه، أبواب الفتن، باب التثبّت في الفتنة، برقم 3958، قال الألباني: صحيح. والحديث طويل.
2- انظر ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص527.
3- انظر هارون يحيى، معجزة العنكبوت، ص68.
4- انظر المصدر السابق، ص69.
5- انظر المصدر السابق، ص76.

كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (يونس: 107)، وهذا تطمين ووعد لعباد الله المؤمنين بأن أي موالاة وعلاقة لا تكون في الله فهي واهية ضعيفة مصيرها الزّوال، وقد أكّد الله ذلك فجاءت "إنّ" للتّأكيد، وصيغة التفضيل، ولام القسم، وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح: 5 – 6)، فاليسر ليس بعد العسر وإنّما معه؛ بمعيّته، وقد أكّد المولى ذلك مرتين، هذا العسر الذي يُنتج اليسر، اليسر الذي يُخرج طاقة الإنسان التي لا تظهر إلا عند التعرّض للمحن فتُظهر معدنه وجهاده سواء أكان صبرا أو مجاهدة لهوى نفسه أو جهادا لعدوّه"[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (العنكبوت: 42)، أي إن" الله يعلم حال ما تعبدون من دونه من الأوثان والأصنام والجنّ والإنس، وأنها لا تنفعكم ولا تضرّكم إن أراد الله بكم سوءا"[2]، وحتّى إن أراد الإنسان أن يخدع غيره فإنه يعلم أن الله يعرف نواياه، ويعرف المشاعر التي يُضمرها في صدره اتجاه من يحاول أن يصوّره كولي أو كصديق حميم.

يتّضح إذن في الآية التي ضرب فيها المثل بالعنكبوت الجانب الهدائي المتمثّل في طلب الموالاة النافعة والواجبة في حياة المسلم كما أمره الله بها: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (المائدة: 55)، وقد طمأنه وأكّد له أن كل من اتخذ وليا من دونه لهو أوهن ما يتخذ، ذلك أن أوهن البيوت لبيت العنكبوت رغم أنه قد يكون أقوى البيوت على الإطلاق.

6. عوامل الثبات على قيمة الولاء

قد مرّ أنّ من معاني القيمة الثبات والرّعاية والاستقامة، وقد جاء بعد الآية الواحدة والأربعين عاملان مهمّان لإقامة قيمة الولاء والإعانة على الثبات عليها وهما:

1.6. التدبّر في قدرة الله وخلقه:

جاءت الإشارة إلى خلق الله بعد مثل العنكبوت: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (العنكبوت: 44)، كي يتذكّر الإنسان دائما هذه الحقيقة ويتّعظ ويتدبّر فلا يتبع الشّيطان: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ* إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: 98-100). فمن المواضيع التي يركّز عليها القرآن الكريم ويتناولها بقوّة إبداع الله تعالى في كلّ ما خلق حتّى يدلّه كلّ شيء في هذا

1- منى بن عطية، الابتلاء من خلال سورة العنكبوت، ص149.
2- مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج 20، ص144.

الكون على صفات الله وقدرته وأنه المستحقّ وحده للعبادة: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد: 16)، ولذلك أنعم المولى تعالى على عباده بالعقل، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت:20).

2.6. الأمر بتلاوة كتاب الله:

قال سبحانه: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت:45) " يأمر تعالى بتلاوة وحيه وتنزيله، وهو هذا الكتاب العظيم، ومعنى تلاوته اتباعه بامتثال ما يأمر به واجتناب ما ينهى عنه، والاهتداء بهداه وتصديق أخباره، وتدبر معانيه وتلاوة ألفاظه، فصار تلاوة لفظه جزء المعنى وبعضه، وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب، علم أن إقامة الدين كله، داخلة في تلاوة الكتاب"[1] فتلاوته وتدبّره يهديان للتي هي أقوم، كما أنّ الرّجوع إلى القرآن الكريم كلّه واجب لمعرفة حقيقة قرآنيّة واحدة أو حقائق عدّة.

7. خاتمة

تضمّن البحث مفهوم القيمة وأهميتها ودورها في حياة الفرد، وخصوصا المسلم الذي يرجع إلى القرآن ليتعلّم منه القيم التي تبيّن له الطّريق المستقيم وتثبّته على إقامة الدّين الصحيح، كما اهتمّ البحث بتتبّع المواضع التي جاء فيها الحديث عن قيمة الولاء من خلال قصص الأنبياء المذكورين فيها، كما تطرّق لنفس القيمة من خلال مثل العنكبوت الذي جاء كخلاصة تصف حال كلّ من اتخذ وليا من دون المولى تعالى.

وأهمّ النتائج المستخلصة منه تمثّلت فيما يلي:

إنّ القيم مرآة لثقافة الأفراد في زمن محدّد، وهي موجّه لسلوكهم وأحكامهم، ومن يملك التحكّم فيها فهو المرشد لأصحابها.

وعد الله للفئة المستضعفة وللمبتلين في هذه الحياة يتحقّق بولايتهم للمولى تعالى، فلا ييأسوا لأنه سبحانه قد أجرى هذه الحياة على سنن لا تتغير ولا تتبدّل، فإما أن يلاقوا وعده بالتمكين في الحياة الدّنيا، وإن لم يلاقوه فالفوز في الآخرة.

1 - عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان، ص632.

في مثل العنكبوت يؤكّد الله عزّ وجلّ أن الولي الذي يُتخذ من دون الله مهما كان قويا فهو الأوهن والأضعف لأن قيمة العلاقة معه من قيمة انقطاع الطّرفين عن التوجّه لإلـٰه الكون، وقد حكم سبحانه بأن أي موالاة وعلاقة لا تكون في الله فهي واهية ضعيفة فمصيرها الزّوال حقيقة ولو كانت بمقاييس البشر قويّة، فالله هو المدبّر والمسيّر وفق ما علّم عباده في كتابه الكريم.

مما جاء في سورة العنكبوت يعين ويثبت على الولاء لله العلي الكريم التدبّر في قدرة الله وخلقه، وتلاوة كتابه، فجُمع بين التفكّر في كتاب الله المنظور وكتابه المسطور.

ومما يوصى به في الختام:

- ✓ الاهتمام بدراسة القيم من خلال القرآن الكريم.
- ✓ الحرص على ربط المواضيع بالواقع المعيش لأجل الوصول الأمثل لفهمها وحسن تدبّرها.

5. قائمة المراجع:

5. 1. المؤلفات:

- الآلوسي شهاب الدين، د/ت، **روح المعاني**، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ابن فارس أحمد، 1399هـ، **معجم مقاييس** اللغة، دار الفكر.
- ابن ماجه محمد بن يزيد، د/ت، **سنن ابن ماجه**، الرياض، بيت الأفكار الدولية.
- ابن منظور محمد بن مكرم، 1419هـ، **لسان العرب**،بيروت ، دار إحياء التراث العربي، ط3.
- بدوي عبد الرحمان، 1984م، ط1، **موسوعة الفلسفة**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- البقاعي برهان الدين، 1415هـ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، بيروت، دار الكتب العلمية.
- بن عبد الوهّاب محمد، 1419هـ، **الرسالة السابعة في حكم موالاة أهل الشرك من مجموعة التّوحيد النجدية**، الرياض، الأمانة العامة بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.
- حجازي محمد محمود، 1413هـ- 1993م، ط10، **التفسير الواضح**، بيروت، دار الجيل.
- الدجاني زاهية، 1416هـ، ط2، **أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة**، بيروت، دار التقريب.
- رشدي الزين محمد بسام، 1422هـ، ط1، **مدرسة الأنبياء - عبر وأضواء-**، بيروت، دار الفكر المعاصر.
- الزمخشري محمود بن عمر، 1419هـ، ط1، **أساس البلاغة**، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الزمخشري محمود بن عمر،ب/ت، **الكشاف**، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- زيدان عبد الكريم، 1421هـ- 2000 م، ط1، **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدّعاة**، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- السعدي عبد الرحمٰن بن ناصر، 1420هـ، ط1، **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- القحطاني محمد، 1404هـ، ط2،**الولاء والبراء في الإسلام**، الرياض، دار طيبة.
- المراغي مصطفى، 1365هـ، ط1،**تفسير المراغي**، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- مسلم بن الحجاج، 1419هـ، **صحيح مسلم**، الرياض، بيت الأفكار الدولية.
- هارون يحي، **معجزة العنكبوت**، موقع *www.Harunyahya.com* .

5. 2. الأطروحات:

- بن عطية منى، 1434/33هـ، **الابتلاء من خلال سورة العنكبوت**: رسالة ماجستير، قسم العقائد والأديان، كلية العلوم الإسلامية،جامعة الجزائر1، الجزائر.
- بوعطيط سفيان، 2012/11م، **القيم الشخصية في ظل التغيّر الاجتماعي وعلاقتها بالتّوافق المهني**: رسالة دكتوراه، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة.

5. 3. المقالات:

- ملكاوي فتحي حسن، خريف1429م.**التّأصيل الإسلاميّ لمفهوم القيم**، مجلّة إسلاميّة المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد54.
- عبد الحليم أحمد مهدي، 1993/92م.**تعليم القيم فريضة غائبة**، مجلّة المسلم المعاصر، عدد 66/65.